(3) الكتلة الأخلاقية

ما يحدث من شبه إجماع الأمة الإسلامية على رفض الصلح والتطبيع مع اليهود، وزيادة كراهتها لأمريكا والفرح بأى عمل مضاد لها ولو كان ساذجًا لا يصوّبه تخطيط: يدل على أن الناس رغم غفلتهم ولهوهم يحبون أن يقودهم أحد ويسير بهم فى الطرق العوالى.

ولئن كان العمل الإسلامى يتصف برفع الصوت أحيانًا، والتحدى، والمواجهة، فإن الحكمة، وقوانين فقه الدعوة تلزمنا أن يكون عملنا الدائب صامتًا فى أحيان أخرى، وأن يكون متحليًا بالعزة الإيمانية، وإنما برفق، وأن نمهر فى إجراء الموازنات المصلحية والمقايسات النسبية، فليس هناك من الوسائل والمواقف والخطط ما هو خير محض ونفع تام، أو شر مغلق وضرر من كل وجوهه، ولكن يشاء الله أن تختلط المصالح بالمفاسد دائمًا، فيكون حرص الداعية الفقيه فى أمر دعوته أن يوازن الموازنات الدقيقة، وأن يتحرى طريق الالتفاف إذا صعبت الطُرق السالكة، وأن يسرى ليلاً إذا أرهقته شمس النهار، مع صبر وتحمّل وتجمّل، دون جرى مع العواطف والحماسة اللاهبة التى تتهم الموقف الحكيم بالخنوع.

والذى يشجعنا على هذه المواقف ذات المداراة: أن الدعوة الإسلامية قد استتبّت صفتها العالمية ونالت بذلك قوة تنعكس على كل أجزائها القطرية، وذلك داخل تحت معادلات الحكومات التى تعلم أن غضبة الدعاة فى العالم هى واحدة الآن، ولذلك ولى زمن المحن الشديدة بإذن الله، وإنما هو المنع من الفرص فقط، والمعاكسات المحدودة، والفرص سانحة اليوم لنشر الفكر الدعوى وتربية عشرات ألوف من شباب الإسلام الصاعد أو مئات ألوف ربما فى بعض البلاد إذا حصل منّا الإتقان لسياسة الهدوء وعدم توتير الأجواء وامتصاص الصدمات وحالات الاستفزاز والبعد عن التورط فى ردود فعل تؤدى إلى فوضى وعدم استقرار، وهذا لا يعنى التراجع الدائم، بل نجادل بالحسنى رجال الإدارة والأمن والإعلام، وتكون منا المحاججة، والاعتراض، والمناقشة، ولكن من غير أن ندع رجل الشارع يسير بنا إلى حالات الحرج والمصادمة، فإن رجل الشارع تقوده العواطف، ونحن يقودنا التخطيط والنظر البعيد والفكر الموزون.

openkandil.com

ومما يعين على ذلك: المرابطة الدائمة، كلٌ فى بلده، ووقف نزيف هجرة الطاقات من بلادها إلا لضرورة تقدر بقدرها ويعرفها المنصف، إذ الفرصة مواتية اليوم لكى نقود شعوبنا، وفى الساحة فراغ قيادى، ولا ينبغى الاستشهاد بهجرة من ابتلى بالهجرة متأولا ثم أصبح أسير أوضاع عائلية وغيرها لا يستطيع منها فكاكا، ولعله اليوم فى ندم، فإن فى الهجرة انسحابية ووقوع فى السلبية إذ الموقف يتطلب الخطوات الإيجابية، وفيها إخلاء للساحة من العاملين إذ مجال الإنتاج متاح، ولسنا ننكر الصعوبة، ولكننا ندعو إخواننا إلى البذل والثبات، فإن المحن سُنة الدعوات، وقد رأيت فى مختصر تاريخ الخلفاء للسيوطى خبر عالم بمصر رأى استمرار العيش فيها لما سرى القتل إلى بعض أصحابه أيام الحكم الفاطمى، ورأى الهجرة تركًا للعامة بلا قيادة، فكره ذلك، والدعوة اليوم فى أكثر البلاد هى فى دور انفتاح وتوغل فى العمق، وتكثير للعدد وتخصص وترسيخ تربوى، وسيكون كل ذلك عاملاً حاسمًا فى كسب المستقبل بإذن الله، وقطرات دم الشهيد الساقط منا ستكون مدادًا تُكتب به وثيقة تعاهد أنصارنا على المضى فى الدرب، وأنفاس السجين ستحرك القلوب المتعلقة به واللاهجة بالدعاء له، وأنين المظلوم سيكون نشيد المسيرة، وهذه أحوال إحسانية تغرى اللبيب بالثبات فى الساحة، طلبًا لأجر انتصابه كقدوة لغيره، وكل أحوال المؤمن خير، وللسالكين نحو المعالى مدارج ما زالت ترفع أصحابها، والموفق من وفقه الله فصبر واستحلى الأجر وأمسك بالإزميل فنحت فى صخر قلوب الغافلين الصلدة حروف القرآن ورباهم على الإيمان من بعد تفريط.

إن السنوات القادمة أراها مفصلية وحاسمة فى تطور العمل الدعوى فى جميع أنحاء العالم، وبعدها ستكون سعة انتشارنا أكبر عامل وقاية لنا، تمنع الظالم من الإسراف فى الأذى، وأما ما دون الإسراف من تحرش سمج فإنه لن يضيرنا إن شاء الله وقد تعودنا عليه، وأنت إذا قطفت وردة جميلة توقعت أن يجرح شوكها بعض أصابعك، ثم الحياة عطاء كما هى أخذ، والنازل إلى السوق لن يشترى مجانا.

إن كل داعية مجرِّب قد نال حظًّا من التربية وحاز شيئًا من الفكر يمكنه أن يكون نقطة إشعاع فى هذه الحملة، وأن ينتصب قدوة، وأن يجسّد معنى الأسوة الحسنة، ويدفع الخط البيانى إلى صعود أكثر عبر إتقانه تمثيل الأركان السبعة المتكاملة للقدوة الحسنة فى منهجية تربيتنا الدعوية:

*** أولاً: البعد الجماعى فى معنى الاقتداء:**

فإن المربى الدعوى وإن كان مطالبًا بالمسارعة إلى كل خير يأمر به، إلا أنه إنما يذكر الجماعة حين يتكلم، ويضرب بها الأمثلة، ويقدم فكرها على أنه الفكر، وإنجازها على أنه الإنجاز، ويفتأ يذكر تاريخها وأبطالها ومناقبها، ليؤسس الولاء لها، ولا نرى أن يقدم نفسه بكلام مهما كان صالحا، وإنما حاله الصامت يتولى التفهيم.

ومن المعانى الواضحة فى ذلك: أن الصحوة الإسلامية العالمية المعاصرة أصبح لها وقع معنوى ذاتى ضخم فى نفس كل داعية ومراقب، ولذلك ينبغى تنسيب كل مستجيب وصاعد لها، ليفهم أنه جزء من تيارها العام، وأنه يمثل بعض فئة المؤمنين، حتى أن الداعية الفرد إذا أراد الاستدراك وخاطب الناس فإنهم لا يستجيبون له، ليأسهم من تمكنه من شىء، ولكن إذا تصدت جماعة فإنهم ينظرون لها نظرة التفاؤل ورأوا الاستدراك ممكنًا وتعاونوا معها؛ لأنها ليست مجرد جزء فى تكوين الصحوة، بل هى إحدى قيادات الصحوة، وما يقال من أن بلدًا سرت إليه الصحوة فإنه فى الحقيقة إنما صحا ثقة بحال بلد آخر صحا قبله، فرؤيت من صحوته المحاسن، فكان اقتداء جيرانه، فكيف بأكبر الجماعات، وبدورها القيادى لقيادات الصحوة ولعدد كبير من المؤسسات الإسلامية والأعمال الثقافية والخيرية؟

ويشكل هذا الربط المعنوى بالشخصية العامة للجماعة واسمها العَلَم وسجلها الناصح أحد وجوه منهجية التربية الدعوية، ولسنا نستنبط ذلك من خطر إيراد المربى لكلمة «أنا» وكراهة ذلك فى العرف الإيمانى، فإن ذلك مفروغ منه، وإنما نستنبطه من وعينا لبركة الارتباط بين الفرد والكيان الجماعى وجدواه التربوية العديدة الوجوه، بحيث يحصل على الامتلاء النفسى، وعلى ثقة أعمق من أى ثقة بشخص مفرد، وتصبح للمنتسب هوية معروفة لا تستدعى أن يشرحها، ويتوفر له احترام من المقابل السائب، وهيبة من الخصم، وهى أمور تحصل من مجرد الانتساب بدرجة أولية، ولكن عمق التأثر إنما يحصل بهذا الربط الجماعى وشعوره بأنه قد أوى إلى ركن شديد وتيّار هادر.

*** ثانيًا: البُعد التأصيلى فى غرس الاقتداء:**

فلا تكفى مدارسة رسائل الإمام البنا، ولا الكتب الفكرية المعاصرة التى جمعت أنواعًا من الصواب، وإنما يكون أيضًا تعويد الدعاة الصاعدين على الرجوع إلى مصادر العلم الشرعى

obeikandi.com

الكبرى، فتعوده على طول لبثٍ مع صحيح البخارى، وتفسير القرآن مما كتبه الأئمة، مثل تفسير ابن كثير، وعلى رسالة الشافعى، ومختصر فى الفقه على أى مذهب كان، فإن مطالعة هذه الكتب تجعله صاحب حذر واحتياط فى أمره الدينى، وتمنعه أن يتساهل، ويُستحسن عقد مجالس علم فى المساجد لشرح هذه الأصول.

ويدخل فى هذا البعد التأصيلى ذكر سِير الفقهاء والزهاد وكبار المجاهدين عبر التاريخ الإسلامى، ثم يكون ذكر سير الدعاة المعاصرين وأعيان دعوتنا.

وبالمقارنة: نجد أن جماعة النور فى تركيا يقتصر منهجها على تدريس كتب مؤسسها ولا يتجاوز ذلك، فتنغلق الجماعة، ويكون الولاء لشخص المؤسس فقط، وليس للجماعة، مما اضطر أحد قادتها للانفصال عنها من أجل تدريس العلوم الشرعية.

* ثالثًا: البعد المدنى والاجتماعى فى الاقتداء:

فكل مجتمع صغير داخل المجتمع الكبير له قدوته من أهله، فمجتمع المثقفين له أعرافه وقدواته، على خلاف مجتمع الأميين، وفى كلٍّ خير.

ولا يصلح ناسك يابس للتعامل مع رجال الدولة، كمثل قبيصة بين عقبة السوائى شيخ البخارى وتلميذ سفيان الثورى، لمّا أتاه قائد الجيوش العباسية أبو دُلف العجلى أيام محنة خلق القرآن يستشيره فيما يجب أن يفعل، فأخرج قبيصة كسرة خبز وقال: ما دامت هذه عندى فلستُ بحاجة إلى بحث دنياكم. فرجع المسكين خائبًا لا يدرى أى محنتى الإسلام أكبر: محنته بالمبتدعة، أم محنته بالثقات أهل اليبوسة؟

ومن قبل ظهور الكمبيوتر كنت أقول: إن من علامة الداعية المتمدن أن تجد عنده أنواعًا من الورق، والمسطرة، والقلم الأحمر للتأشير، والشريط اللاصق، وبقية الأدوات المكتبية الصغيرة التى تيسّر أمور حياته، وإلى اليوم أجد من هو رجعى متخلف وفى بيته فوضى.

وكم من عيب ذوقى فينا؟ ابتداء من وضع رجل على أخرى فى مجلس فيه أكابر، مرورًا بإهمال فرشاة الأسنان أحيانًا، انتهاءً باستعمال التليفون فى غير وقته!!

* رابعًا: البعد التنويعى فى أسلوب تحصيل الاقتداء:

فبعض الناس تقوده بكلام فقه، وآخر ببيت شعر، وآخر بتحليل سياسى، وآخر بعمل خيرى، وآخر بلوحة فنية، حتى إذا استقام أى واحد منهم على الدرب ومنح الولاء: ملت معه إلى التأصيل والجد.

ويتكلم القدوة، ثم يميل إلى الفعل المجرّد أحيانًا، وأحيانًا يكتفى بإيماءة عين تعاتب.

ونضع أهدافًا كبرى عامة نقود الناس لتحقيقها: فنطلب لهم الحرية وحقوق الإنسان، ونقاوم بهم التطبيع مع العدو، ونتملص وإياهم من ظلم النظام العالمى، ونوجب اقتران التنمية بالشورى ومنع الفساد الإدارى.

❊ خامسًا: البعد النسبى فى الاقتداء:

تبعًا لحاجة الظرف. فوقت الجهاد: القدوة بطل، والصورة المثلى لمتجرد يفدى نفسه ويُتلفها، ويعشق الجنة، ويكون سريع الاستجابة لا تثقله شواغل.

ووقت طغيان المادة: القدوة زاهد عفيف.

وقدوة الحاكم: عالم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وسخر الغزالى من فقيه يدخل على السلطان فيعظه فى التنزه عن البول ثم يخرج ويقول: قد وعظتُ السلطان.

ثم سخر الرافعى بعده بألف سنة من خطيب يحمّر وجهه، وهو يعلم أنه أول المتخلفين، من يوم رضى أن يحمل سيفًا من... خشب.

❊ سادسًا: البُعد القصدى فى الاقتداء:

ولا شك فى أن خير عمل القدوة ما كان على رسله يدفعه صدق التوجّه، ولكن التكلف وارد، والتجمّل للمقابل واجب، والإنكار الذى فى قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف] لا يمنع حسن القول إن تخلف العمل كما قال المفسرون.

وذكر العلماء أن ترك العمل خوفًا من احتمال الرياء: رياء، بل يكون المرء على السجية، ثم الله يرزق حسن النية.

وإظهار صلاة الجمعة والصلوات الجامعة اليومية فيه من البُعد القصدى شىء. قيل: تظهر بذلك هيبة الإسلام، ويتشجع المسلم الضعيف، ويوحى منظر الصفوف المستقيمة معنى النظام والوحدة والتراصّ.

obeikandl.com

ولذلك فإن الإعلام الدعوى مكلف بإظهار شخصيات الدعوة وقادتها ومفكريها، والدعاية لإنجازات الدعوة، والتواضع فى هذا الباب مرجوح.

وكان الزاهد يوسف بن أسباط فى عدد من أصحابه وقد مال بهم إلى بعض تبسط ومرح من بعد جد، فدُقت عليهم الباب، فأمرهم بالسكوت والوقار، فأنكر تلميذ منهم ذلك واعتبره من الرياء، فأفهمه يوسف وهمه، وأن القادم ربما ظن أن المرح هو حالهم الغالب.

*** سابعًا: البُعد الإبداعى:**

إذ فى الشىء المبتكر قوة إضافية.

والتجديد فى ضرب المثال يأسر قلب المراقب.

قد تكون كلمة واحدة أصيلة لم يقلها أحد من قبل، كالتى قالها شكرى لما أمر أتاتورك بإعدامه فانقطع حبل المشنقة به، فقال: كل جاهليتكم رديئة، حتى حبالكم رديئة. وتروى الكلمة عن عمر المختار كذلك.

فانظر كيف يتضاءل أمر الجاهلية عند السامع، حتى أن ما فتلته أصابع الكائدين استحال وهنًا رخوًا.

ثم فى الكتابة إبداع، لولاه لما تميّز بليغ عن هاذِر.

وفى الفقه إبداع، لولاه لما طغى اجتهاد على تقليد.

وفى الإغاثة إبداع، لولاه لما وصل درهم دُبى والكويت إلى ما وراء المحيط.

والاقتداء لا يعنى الجمود والحرفية فى المتابعة.

بل يتلون القدوة وفقًا لمحيط عمله ونوع المقتدين، طُلابًا كانوا أو عمالاً، شبابًا أو كهولاً.

وكل مُبدع يحتاج أن نمنحه حق الخطأ، ليكون فيه إقدام على تجريب الشىء الجديد الذى ينقدح فى ذهنه، وإلا فإن الملامة التى يتوقعها تدعه يُحجم.

ومن أسباب الترهل المذموم الذى يُبتلى به بعض القدماء من الدعاة: النمطية والتكرار، وعلاجها بالإبداع الذاتى إن كنا نستطيع أن نُعلمه إياه، وذلك صعب، أو بإلحاقه بعمل مبتكر يبدعه غيره، فلربما تجدّدت حيوية وخرج بعد ترهل إلى إيجابية.

الصفات الرفيعة اللازمة لكل قدوة

والوصول إلى هذا التصنيف الشامل للقدوة يقذف فى القلب معنى سعة مجالها وما هو متاح لها من عمق التأثير، ولذلك يلزمها أن تستند إلى ذخيرة إيمانية أخلاقية وافية هى الأساس الذى ترتكز عليه هذه الفذلكات الإبداعية والقصدية والمدنية، ويُجْمل ذلك: توجه منهجى فى التربية الدعوية يحرص يومًا على تحقيق معانى العبادة لله رب العالمين، بمعناها الواسع الذى يطبع كل أعمال المسلم بصبغتها عبر توفر النية، مع وعى فحواها العقائدية السلفية المتنزهة عن الابتداع، وهو توجه يُنتج التقوى فى الآخر، ويقف بالمسلم بعيدًا عن العصيان والدنايا، بل وعن الأمور المفضولة، بحيث تسيطر على قلبه خشية تأمره بتعب ونَصَب وفطم للنفس عن الهوى، وتنهاه عن دوران فى فلك واطئ مع الغافلين.

* **وأول ذلك**، والمبتدأ بعد الفرائض والسنن الراتبة: تعليم الداعية معانى أسماء الله الحسنى، وتركه يعيش معها، محققًا لمستلزماتها، إذ لكل اسم ما يليق له من مشاعر القلب وأعماله، ومن أجل ذلك كان «تهذيب مدارج السالكين»، وهو نمط من الكلام الجيّد الذى وُفّق إليه ابن القيّم يتجاوز جدليات الكتب المشهورة فى تعليم العقيدة ومنطقها الكلامى، ويميل إلى توسيع الطريقة القرآنية فى غرس العقيدة عبر موازين الفطرة، وبذلك يتحدد مَعلم مهم من معالم منهجية التربية الدعوية التى تخالف منهجية أخرى تتبعها الجامعات الإسلامية وأكثر المدارس الشرعية، حيث ما زالت تلك المؤسسات التعليمية أسيرة كتب المحاججة والردود التى ألفها علماء الفروع الذين جرّدوا نصوص العقيدة وفصولها عما صاحبها من مواعظ، وأخرجوها من السياق المتدرج الذى وردت فيه فى القرآن، ففقدت زخم تحريك السياق لمعناها وأثر تعاقب نسَق المعانى القرآنية والرديفة المماثلة فى إقرارها فى النفوس، ولذلك أضحت نصوصًا يجيد العقل إدراك مبناها، من دون أن تنطق القلوب بمعناها، أو أن تنفعل انفعالاً قويًّا بمغزاها، وذلك هو السر فى أن الجامعات لم تنجب الدعاة إلا قليلاً.

وهذه القضية المنهجية واضحة جدًا عند العلماء الدعاة، ومن أبرز مَن ركّز عليها وشرحها فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله قادرى الأهدل فى كتابه «الإيمان هو الأساس»، وتعضد ذلك تنبيهات الدكتور عبد الوهاب الديلمى فى مقدمته لهذا الكتاب.

obeikandi.com

إذن: فالأمر أبعد من أن تدعى لجنة تربوية أنها تعتنى بتدريس علم العقيدة والإيمان، إذ يبقى السؤال: على أى منهج يكون ذلك؟

وكخطوة عملية أولى فإنى اقترح اختيار كتاب «الإيمان هو الأساس» كجزء من المنهج فى هذا الباب، فإنه مبنى على هذه المنهجية الصحيحة الأصيلة.

وقد سبق إمام العلماء الدعاة عز الدين بن عبد السلام ابن القيم فى تقرير هذه المنهجية التربوية فى التعبّد بأسماء الله تعالى، وقرنها بعموم الفهم الواجب على قارئ القرآن لآياته إذا تلاها، والتدبّر فى معانيها إذا صلى بها، فقال:

«إن المصلى مأمور إذا قرأ القرآن أن يلاحظ معانيه، وإن كان فى آية وعد رجاه، ولهذا قال ﷻ: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزُّمَر:9] وإذا كانت آيات الصفات تأمّل تلك الصفة، فإن كانت مشعرة بالتوكل فليعزم عليه، وإن كانت موجبة للحياء فليستحى منه، وإن كانت موجبة للتعظيم فليعظمه، وإن كانت موجبة للحب فليحبه، وإن كانت حاثة على طاعة الله فليعزم على إتيانه، وإن كانت زاجرة عن معصية فليعزم على اجتنابها، ولا يشغل عن معنى ذكر من الأذكار بمعنى غيره وإن كان أفضل منه لأنه سوء أدب، ولكل مقام مقال يليق به ولا يتعداه، وكذلك لا يشتغل عن معنى من معانى القرآن باستحضار معنى غيره وإن كان أفضل منه، ولذلك تكره قراءة القرآن فى الركوع والسجود، ويكره التسبيح فى القعود مكان الدعاء، وإذا دعا فليتأدب فى الدعاء بالتضرع والإخفاء لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف] ، فالتفات الجنان عما ذكرناه إعراض عن الرب ﷻ بأفضل أجزاء الإنسان، وليس الالتفات بالأركان كالالتفات بالجنان؛ لأن الالتفات بالجنان مفوت لهذه المصالح التى هى أعم العبادات ورأس الطاعات، وعنها تصلح الأجساد وتستقيم الأبدان، فمن صلى على هذا الوجه كانت صلاته كاملة ناهية عن الفحشاء والمنكر، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:45] فيكون الألف واللام فيها للكمال: أن من اتصف بهذه الأحوال والملاحظات كان إذا تحلل من الصلاة قريب العهد بذكر هذه الصفات والأحوال الزاجرة عن الفحشاء والمنكر»[1].

---

(1) قواعد الأحكام 1/ 204.

وسبق الطبرى العز حين قال فى أول تفسيره: «عجبت لمن يقرأ القرآن ولا يعلم تفسيره: كيف يلتذ به؟».

وليس السلف الذين أكرمهم الله تعالى بالتربية النبوية أو الراشدة هم فقط الذين يفهمون القرآن ومقاصد الآيات على وجهها؛ وإنما كل من بقيت فطرته على الصفاء ولم تكدرها المكدرات، وكل صاحب سليقة وبديهة، وكل من له قلب حى، إذا سمع آيات الله تتلى وأنصت وتدبر: خرّ منيبًا، وتصاعد إيمانه، وأخذته الرعدة، ورجف فؤاده، إخباتًا ورهبة وفرَقًا مما ترتكبه العقول القاصرة، ويكون له اقتداء بما كان عليه السلف من الفهم.

وفى صحيح البخارى عن جبير بن مُعطم رضي الله عنه قال: «سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور] كاد قلبى أن يطير»!

قال ابن حجر:

«قال الخطابى: كأنه انزعج[1] عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، وذلك فى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾. قيل: معناه: ليسوا أشد خلقًا من خلق السموات والأرض لأنهما خلقتا من غير شىء. أى: هل خُلقوا باطلاً لا يؤمرون ولا ينهون؟

وقيل: المعنى: أم خلقوا من غير خالق؟ وذلك لا يجوز، فلابد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم، وذلك فى الفساد والبطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا.

ثم قال: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطور:36] ، أى: إن جاز لهم أن يدّعوا خلق أنفسهم فليدعوا خلق السموات والأرض، وذلك لا يمكنه، فقامت الحجة. ثم قال: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور] بل لا يوقنون: فذكر العلة التى عاقتهم عن الإيمان وهو عدم اليقين

(1) **الانزعاج:** القلق. انظر القاموس المحيط.

الذى هو موهبة من الله ولا يحصل إلا بتوفيقه، فلهذا انزعج جُبير حتى كاد قلبه أن يطير» (1).

فانظر قوله: كاد قلبى أن يطير، وتمثل لنفسك أنك فى مثل موقفه وتسمع تلك الآيات أو غيرها، فإن عمق التخيل ومزيد التدبر والاهتمام وحصر الذهن والفكر ينقلك إلى شىء من الاندماج مع المعانى...

ويكون أمر الإيمان والتدبّر القرآنى أتم وأعمق إذا اقترنت هذه الخشية الواعية بمنهجية أخرى فى الاستعانة بالتفسير العلمى للقرآن الكريم فى غرس التوحيد والكشف عما جاءت به الآيات من دقائق الإشارات حول عجائب المخلوقات، ثم جاءت العلوم المعاصرة تشهد بذلك، مما يجعل المسلم المثقف تام الإيمان بأن القرآن وحىٌ موحى، وهى منهجية جديدة معاصرة فى غرس الإيمان لم تستطع مناهج الجامعات الإسلامية مسايرتها بعد، ويليق بالدعوة أن تتوسع فى اعتمادها.

ولا تحتاج لجان التربية فى الدعوات الإسلامية إلى جهد كبير إذا أرادت اللجوء إلى هذه المنهجية فى بيان الإعجاز العلمى للقرآن الكريم، إذ ناب عنها روادٌ من أئمة هذا الفن فأحصوا ما هنالك، واستثاروا حمية جمهرة من العلماء المؤمنين للبحث، ونسقوا عبر مؤتمرات عديدة بين الجهود العامة، وشاركوا بنجاح، وهم فضيلة الشيخ عبد المجيد الزندانى، والأستاذ الكبير الدكتور زغلول النجار، والطبيب الجرّاح الدكتور أحمد القاضى، فى أمثال لهم، وأحاديثهم فى ذلك تأسر القلوب والألباب، وتدفع إلى يقين عميق بالوحى وبعظمة الله تعالى، وما على لجان التربية والإعلام إلا أن تجمع كتبهم ومحاضراتهم وتنتقى منها وتروّج المنتقى، فيتعاظم حجم الإيمان فى صفوف الدعاة ومحاضراتهم، فيتعاظم حجم الإيمان فى صفوف الدعاة وأنصارهم وجمهور المنصتين لهم، وهذه الناحية المنهجية الجديدة غدت سهلة جدًّا، ولكن الخطط التربوية الدعوية مازالت أبطأ من سرعة تشهدها بحوث الإعجاز العلمى، وسجلت قصورًا عن المواكبة لها وموازاتها، ولابد من الاستدراك، ثم لابد من دعوة الأستاذ النجار بخاصة إلى كل بلد، ليقدح بمحاضراته وعجائب أخباره الزناد، ثم يتولى فريق

(1) فتح البارى 8/ 469، طبعة السلفية.

مختص من بعده بقية المهمة.

نعم... تشهد الساحة قولاً مستعجلاً ومتكلفًا، لكنه ليس من هؤلاء أصحاب النمط الأوسط والإطلالة على العلم الشرعى والتطبيقى معًا، وإنما من آخرين، وتكوين لجنة عالمية مركزية من بعض العلماء والدعاة لاختيار القول العلمى الصحيح المشهود له بالحقائق يجعلنا فى الجانب الآمن بإذن الله، وإلى حين تكوينها يمكن أن تقوم مقامها لجان مصغرة فى كل بلد.

وهذا التركيز على الإعجاز العلمى لا يلغى عرض وجوه الإعجاز البلاغى القرآنى، ولا إعجاز معانيه وتجددها مع تقادمها، مما اعتنى بإيضاحه علماء الأمة فى كل الأجيال.

قال ابن حجر:

«ووجوه إعجاز القرآن من جهة حُسن تأليفه والتئام كلماته وفصاحته وإيجازه فى مقام الإيجاز، وبلاغته ظاهرة جدًّا، مع ما انضم إلى ذلك من حُسن نظمه وغرابة أسلوبه مع كونه على خلاف قواعد النظم والشعر، هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ولم يُعلم أن النبى ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم، وبما سيقع فوقع على وفق ما أخبر به فى زمنه ﷺ وبعده، هذا مع الهيبة التى تقع عند تلاوته، والخشية التى تلحق سامعه، وعدم دخول الملال والسآمة على قارئه وسامعه، مع تيسير حفظه لمتعلميه وتسهيل سرده لتاليه، ولا ينكر شيئًا من ذلك إلا جاهل أو معاند، ولهذا أطلق الأئمة أن أعظم معجزات النبى ﷺ : القرآن، ومن أظهر معجزات القرآن: إبقاؤه مع استمرار الإعجاز» (1).

ومن أحسن البحوث المعاصرة فى بيان هذا الإعجاز المعنوى للقرآن المجيد عبر اختلاف التركيب النحوى واللفظى بحوث الدكتور فاضل صالح السامرائى أحد كبار علماء النحو العرب اليوم ومبرزيهم، وكتبه جديرة بالتداول فى الأوساط الدعوية.

وسياق الكلام يتيح لى اقتراح حل لمعضلة الفراغ المنهجى الذى تشعر به الأسرة عند تقادمها إذا أنهت دراسة المنهج العالمى، وهى مشكلة تجبهنى أينما حللتُ وتكلمت، حتى ليصنّفها بعض الغلاة فى عداد مظاهر الترهل الذى يصيب بعض قطاعات الدعوة، فأقول:

(1) فتح البارى 7/ 392.

obeikandi.com

العلو فوق هذه الظاهرة السلبية يمكن أن يكون بعقد عشر دورات، كل دورة لسنة، يجتمع فيها أعضاء عدة أسر أنهت المنهج أسبوعيا ضمن الدورة، وبتحويل الاجتماع الأسرى إلى شهرى للإبقاء على روح التكافل والولاء، ويكون تداول موضوع واحد خلال أربعين اجتماع يمكن أن تتاح فى السنة إذا روعى التوقف فى رمضان والأعياد والطوارىء، ويكون إسناد كل دورة إلى داعية خبير فى موضوعها، يستعين بأمثاله من دعاة القطر، ويستدعى من خارج القطر خبراء يعينونه فى إلقاء المحاضرات عند الحاجة، وتكون مشاهدة أفلام الفيديو خلال ذلك مع شرحها، ومناهج مطالعة، ثم تكرر الدورة لآخرين فى نفس الوقت.

* وتكون البداية: دورة فى العلوم الشرعية بتكثيف، مع استعمال وسائل الإيضاح والطرق المعاصرة فى التفهيم، وكل الدعاة من أساتذة العلوم الشرعية فى الجامعات يصلحون لهذه المهمة.

* ثم دورة فى السياسة والتحليل وفهم الواقع وخفى الأخبار وقضايا الأمة.
* ودورة فى فقه الدعوة وموارده والإدارة والعمل المؤسسى والتخطيط.
* ثم هذه الدورة التى نقولها فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسُنّة المطهرة.
* ثم دورة فى الإبداع والاختراع واستنباط الأفكار وحلول المشاكل.
* ثم دورة فى التاريخ الإسلامى والتطور الدعوى ومقارنة الحضارات وسير المصلحين.
* ودورة فى الفن والعمارة والجماليات.
* ودورة فى اللغة والأدب وعواطف الحرية والمثاليات.
* ودورة فى الاقتصاد وحقائق الرأسمالية الجديدة وصراع الأموال والنفط.
* ودورة أخيرة منوعة فى كل هذه الموضوعات فيها نقد وكلام متقدم.

والمظنون أنه بمثل هذه الدورات: تسرى روح جديدة فى القدماء، ويكون انتفاء الملل والتكرار والنمطية، وتتعدد القدوات وأشكال الخير والخيِّرين، ويشعر الجميع عند ذاك بأن منهجية التربية الدعوية هى أوسع بكثير من مجموعة كتب نسميها المنهج، فيهيمون بها غراما، وتصبح هى صنعة الجميع، حتى تتحول إلى دستور يتعاهدونه، وربيب عزيز يرعونه، وتتأصل فيهم تلقائية تبادر إلى المحاكاة والإضافة والنسج على المنوال، ومن وصل إلى مثل

obeikandl.com

ذلك: فرّ منه الترهل.

لست أقول بأن هذا هو الحل السحرى وأنه الأوحد، لكنه أحد الحلول المهمة، ويبقى وجود قضية جامعة عامة مسنودة بقضايا مرحلية موردًا آخر لدوام اليقظة والعطاء، ويبقى وجود الزعامات الظاهرة التى تقود الجميع عامل تحريك مهمًّا، فى موارد أخرى لإرواء الهمم تحدثت عنها فصول هذا الكتاب.

*** الركن الثانى فى الذخيرة الأخلاقية: استشعار المسئولية الشخصية.**

والقواعد الإيمانية فى ذلك غير قواعد القوانين، وإنما قواعدنا حساسة جدًّا، وتذهب أبعد مذهب فى تحميل المؤمن مسئوليته عن نفسه وأعماله، بل عن خلجات ضميره.

وقد استنبط ابن حجر من حديث: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» أن كل مؤمن «مرعى باعتبار، راع باعتبار، حتى ولو لم يكن له أحد: كان راعيا لجوارحه وحواسه؛ لأنه يجب عليه أن يقوم بحق الله وحق عباده» (1).

وهذا منطق الإصلاح فى الحياة الإسلامية.

المؤمن مسئول عن جوارحه وحواسه، وهى لديه أمانة، وقد كلف بجدول أعمال خاصة، وعليه أن يُتم بوفاء.

هذا الشعور بالمسئولية يُرهق النفس، ويتلفها، ويجعلها أبدًا قلقة متحفزة لبذل جهد مع الباذلين، وفى حالة الاستنفار والاستعداد للدفاع، وراضية بالإيثار.

ومن هنا جعل عَدِى بن حاتم الطائى رضي الله عنه الجهل راحة، فقال:

أعاذل إن الجهل من لذة الفتى ... وإن المنايا للنفوس بمرصد

وفى قوله إشارة إلى أن الغفلة عن ذكر الموت لذة، لكن يشير أيضًا إلى أن عدم علمك بنكبات المسلمين، وقلة درايتك بقصة الصراع بين الحق والباطل، يميلان بك إلى ذهن فاتر، وروح ساكنة، وتلك هى اللذة فى مذهب الدنيويين، فتجلس على التل تتفرج على العرض المسرحى، فتقوم دول وتقعد، وتتحالف أحزاب وتتناحر، وتتفجر دماء، وتندق أعناق،

(1) فتح البارى 3/ 32.

obeikandi.com

وأنت فى دعة.

لكن المساكين هم الذين اكتوت قلوبهم بحرارة الشعور بالمسئولية، فغيّبتهم عجاجة الموقف.

هؤلاء هم ورثة التعب حقًّا.

هم دعاة الإسلام الذين وضعوا على عواتقهم أحمال شعوب الأمة الإسلامية وقضاياها، وأمنيات الفقراء،وتطلعات المظلومين، فنقلهم اختيارهم إلى حركة دائبة وتفكير متصل.

إلا أنهم فى لذة أيضًا لا يذوقها القاعدون، هى لذة البذل التى لا تعرفها إلا الهمم السامية، ثم لهم فى الآخرة اكتيال من نعيم ورضوان.

فرحمة الله عليهم أحياء وأمواتًا، ما أسرع نفرتهم، وما أجزل عطاءهم.

ولذلك تعارف الناس على أن الوقوف فى صفهم غنيمة، وزيادة شرف، وتزكية، وأمان دنيوى وأخروى معا.

*** الركن الثالث: انتظار عِظم الثواب.**

بأن يعلم المتصدى لخوض غمار الوكالة عن إخوانه عظم مقدار الأجر الكامن فى العمل الذى يُقدم عليه، والأمر فيه أهون من أن يكون غامضًا، إذ يكفيه أن يقيس أمره على أمر إمام محتسب يتم للناس صلاتهم ويقرأ فيهم بآيات واعظة، أو مؤذن محتسب يُنادى ويذكِّر أهل الإيمان حتى يصحل صوته، فإذا كان أصل القياس واردًا: ورد المعنى الآخر من أن أجر هذا الرائد القدوة أضعاف أضعاف أجر إمامة الصلاة، لما فى الاهتمام بأمر ثلة من المسلمين من التعب والنَصَب والحرمان من الراحات والانقطاع عن الملذات، مع القلق والأحزان والحيرات، وما يتعرض له من حسد الأقران، وسوء الظنون، وغلظة الجاهلين، أو ما يلقاه من أذى الظالمين، فإن كان فى إمامة الصلاة أو الأذان أجر: فهو فى إمامة رهط الآمرين بالمعروف ألف أجر، أو ألف ألف، بحسب نقاء نيته وتجرّد قلبه وسواء توجهه.

*** الركن الرابع: الكرم وسعة البذل.**

فإنه يستحب للأمير ولكل قدوة أن يكون كريمًا ويتوسع فى الصرف من ماله والمال

obeikandl.com

الدعوى العام على مَن يفد إليه أو يكون متحلقًا حوله، وهى سُنّة سَنّها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد «ذكر عمر بن شبّة فى أخبار المدينة أن دار أبى بكر الصديق التى أُذنَ له فى إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت ملاصقة للمسجد، ولم تزل بيد أبى بكر حتى احتاج إلى شىء يعطيه لبعض مَن وَفد عليه، فباعها، فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم» (1) .

وتعجب اليوم من دعاة أهل مال ليسوا يوزعون غير الزكاة، فإن وفد عليهم وافد أو برزت قضية: اعتذروا أن المال نفد، ويعنون أن الزكاة نفدت، لا تهزهم أمثال هذه القصص ولا يقتدون.

إن منزلة الريادة تقتضى الكرم الواسع، والبذل للناس، وإحياء النمط القديم الذى اندرس، «فمصطنع المعروف، والمبادر إلى أعمال البر: شهر نفسه ورفعها، وكانت أجواد العرب تنزل الرُبى وارتفاع الأرض، ليشتهر مكانها للمعتفين، وتوقد النار للطارفين، وكانت اللئام تنزل الأولاج والأطراف والأهضام، ليخفى مكانها عن الطالبين، فأولئك علُّوا أنفسهم وزكوها، وهؤلاء أخفوا أنفسهم ودسوها، وكذا الفاجر أبدًا خفى المكان، زمر المروءة، غامض الشخص، ناكس الرأس بركوب العاصى» (2) .

وخَرَجَ ابن حجر بمعنى البخل عن أن يكون فى المال فقط، فقال فى شرح قول النبى ﷺ : «ويُلقى الشح» كعلامة من علامات آخر الزمان، «المراد إلقاؤه فى قلوب الناس على اختلاف أحوالهم، حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره، ويبخل الغنى بماله حتى يهلك الفقير» (3) .

واستطرادًا وقياسًا نقول: حتى يبخل الداعية بوعيه الدعوى، فيترك البشارة والنذارة ومخالطة الناس ودعوتهم.

فكن كريما، واربأ بنفسك أن يحشرك الناظرون هذا المحشر ويصنفوك مع هذا الصنف

(1) فتح البارى 8/ 14.

(2) للقرطبى فى تفسيره 20/ 78، **والمعتفون:** هم الأضياف ومن يطلب شيئًا. **والأولاج:** ما يستتر به المارة من المطر، **والأهضام:** أسافل الأودية، **وزمر المروءة:** قليلها. كذا قال الشيخ الحفناوى محقق الكتاب.

(3) فتح البارى 16/ 123.

الشحيح، وتحمّل مرارة العمل الدعوى وتربية الأنصار، من أجل صيانة سمعتك لدى الله تعالى، ثم لدى الملائكة، ثم لدى الناس.

* الصفة الخامسة: مضاعفة العمل وإتقانه .

إذ ليس يكفى المؤمن قيامه بأدنى درجات الصلاة والجهاد وأعمال المعروف، إنما عليه قصد الكمال فيها، والتمام، والإتقان، ومضاعفة الجهد والبذل، وقد سَمَّى النبى ﷺ ذلك «الإنفاق» فى تحصيل هذه الفضائل، فقال فيما أخرجه البخارى:

«من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله: دُعى من أبوابٍ ـ يعنى الجنة ـ يا عبد الله: هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة: دُعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد: دُعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة: دُعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام: دُعى من باب الصيام وباب الريّان».

قال ابن حجر:

«ويمكن أن يكون المراد بالإنفاق فى الصلاة فيما يتعلق بوسائلها من تحصيل آلاتها من طهارة وتطهير ثوب وبدن ومكان، والإنفاق فى الصيام بما يقويه على فعله وخلوص القصد فيه، والإنفاق فى العفو عن الناس يمكن أن يقع بترك ما يجب له من حق، والإنفاق فى التوكل بما ينفقه على نفسه فى مرضه المانع له من التصرف فى طلب المعاش مع الصبر على المصيبة، أو ينفق على من أصابه مثل ذلك طلبًا للثواب»[1].

وبالتأمل: أجد وأفهم أن تعبير النبى ﷺ «من أنفق زوجين»: يعادل التعبير المستعمل اليوم عند العرب فى المضاعفة، فكأنه ﷺ يقول: من ضاعف مقدار عمله فى مقداره الكمى، ثم أتقنه نوعيًّا، فهو كذا وكذا. أى أن كلمة زوجين تعنى مرتين، وكلمة الإنفاق تعنى الإتقان.

* الصفة السادسة: الموازنة بين العبادة ورعاية مصالح المسلمين .

ففى ثنايا حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ : «بئس ما لأحدهم أن يقول: نَسيتُ آية كيت وكيت، بل نُسّى» - الذى رواه البخارى- تكمن قاعدة مهمة فى التربية الإسلامية لعناصر الصفوة ذات الاهتمام بقضايا الإسلام والقيام بأموره العظام.

---

(1) فتح البارى 8/ 26.

وتعقيبًا على هذا الحديث، وعلى أحاديث أخرى نسب النبى فيها النسيان إلى نفسه، وعلى تساؤل البخارى فى ترجمة الباب: هل يقول نسيت آية كذا وكذا؟: يقول ابن حجر:

«كأنه يريد أن النهى عن قول نسيتُ آية كذا وكذا: ليس للزجر عن هذا اللفظ، بل للزجر عن تعاطى أسباب النسيان المفضية لقول هذا اللفظ.

ويحتمل أن يُنزل المنع والإباحة على حالتين:

فمن نشأ نسيانه عن اشتغاله بأمر دينى، كالجهاد: لم يمتنع عليه قول ذلك؛ لأن النسيان لم ينشأ من إهمال دينى، وعلى ذلك يُحمل ما ورد من ذلك عن النبى ﷺ من نسبة النسيان إلى نفسه.

ومن نشأ نسيانه عن انشغاله بأمر دنيوى – ولا سيما إن كان محظورا – : امتنع عليه، لتعاطيه أسباب النسيان»[1].

وهذه قاعدة إيمانية جليلة مهمة جدًّا يكمن فيها فرَج واسع على كثير من المؤمنين فى كل جيل ممن ترهقهم أمور الدعوة إلى الله والعناية بمصالح المسلمين حتى تشغلهم عن كثرة تلاوة ومزيد عبادة. ومن الواضح جدًّا أن إجراء القياس سائغ تمامًا لمن أراد للمعانى أن تطرّد إلى أبعد من نسيان الآيات لتشمل جميع أنواع العبادة بعد الفروض، وهى قضية أرهقت دعاة الإسلام نفسيًّا حتى توهموا فى أنفسهم السوء واتهموها، لما ورد من أن السلف كانوا يكرهون الذى ينسى القرآن ويقولون فيه قولاً شديدًا، وأن ذلك لا يكون إلا مِن ذنب[2]، وأشكل الأمر على فارغين متعطلين عن الجهاد والدعوة ومقدماتها، فسهل عليهم اتهام الدعاة بكسل وتفريط، لكن يأبى الله إلا أن تدون حقائق الفقه بأقلام كبار الفقهاء والمحققين من الأئمة، يكتشفها «إحياء فقه الدعوة» ويلتقطها لهم فتكون وثيقة براءة فى أيادى الدعاة تردّ الشامت والعجول.

ويشهد لهذه الطريقة فى الثقة بالنفس ما نقله ابن حجر عن النووى أنه قال فى تلاوة القرآن:

---

(1) فتح البارى 10/ 361.
(2) فتح البارى 10/ 493.

obeikandl.com

«والاختيار أن ذلك يختلف بالأشخاص، فمَن كان من أهل الفهم وتدقيق الفكر: استحب له أن يقتصر على القدر الذى لا يختل به المقصود من التدبّر واستخراج المعانى. وكذا من كان له شغل بالعلم أوغيره من مهمّات الدين ومصالح المسلمين العامة: يُستحب له أن يقتصر منه على القدر الذى لا يخل بما هو فيه، ومن لم يكن كذلك فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غيرخروج إلى الملل»[(1)].

وهذا الكلام صريح جدًّا، وكأن النووى أنشأه كفتوى لداعية معاصر يستفتيه، فدعاه إلى الاطمئنان وأنه على الدرب السليم طالما هو قائم بمصالح المسلمين العامة، ويا تُرى من أقوم من الدعاة اليوم بهذه المصالح؟

*** الصفة السابعة: ركوب العزائم وترك الرُخَص.**

فإن الأصل أن يركن الداعية إلى أمور الجد النافعة المفيدة، وأن يلجأ إلى الأنماط المنتجة، وأن يشح بوقته، حتى المباح يقلل منه: توفيرًا لجهده ووقته.

ولما ظهرت الوصية بالإقلال من الصيد وكراهته للدعاة فى رسالة «شروط التوثيق» استغربها البعض، ثم رأيت ما يؤيد صواب الوصية، فقد ذكر ابن حجر «إباحة الاصطياد للانتفاع بالصيد للأكل والبيع، وكذا اللهو، بشرط قصد التذكية والانتفاع»، وذكر أن الجمهور على ذلك، لكنه استدرك فذكر أن مالكًا كرهه، ونقل عن الليث أنه قال: «لا أعلم حقًّا أشبه بباطل منه، فلو لم يقصد الانتفاع به: حرم، لأنه من الفساد فى الأرض بإتلاف نفس عَبَثًا، وينقدح أن يقال: يباح، فإن لازمه وأكثر منه: كُرِهَ، لأنه قد يشغله عن بعض الواجبات وكثير من المندوبات».

وأخرج الترمذى من حديث ابن عباس رفعه: «مَن سكن البادية: جفا، ومن اتبع الصيد:غفل»، وله شاهد عن أبى هريرة عند الترمذى أيضًا، وآخر عند الدارقطنى فى الأفراد من حديث البراء بن عازب، وقال: تفرد به شريك[(2)].

ومذهب الليث هذا هو الأليق للدعاة، فإنّ القضايا تزدحم عليهم، والواجبات أكثر من

(1) فتح البارى 10/ 474.
(2) فتح البارى 12/ 21.

الأوقات، إلا رحلة صيد فى كل موسم، لستُ أبيحها فقط، بل أوجبها عليهم، ترويحًا وتسلية للنفس واستعانة بها على استئناف النشاط، لاسيما وأن ابن حجر عاد إلى تفسير «من اتبع الصيد غفل» فقال: «هو محمول على من واظب على ذلك حتى يشغله عن غيره من المصالح الدينية وغيرها»(1).

والظاهرة الاجتماعية التى رصدها الفقهاء تدعو إلى الاحتياط والأخذ بالعزائم ومغالبة الصعوبة وبذل مزيد من الصبر لئلا يتوسع العوام فى الترخص.

قالوا: «إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال: صار العوام آكلين للشبهات.

وإذا صار العالم آكلاً للشبهات: صار العامى آكلاً للحرام.

وإذا صار العالم آكلاً للحرام: صار العامى كافرًا، يعنى إذا استحلوا»(2).

وبعض الدعاة يمنح نفسه مهلة بعد مهلة من غير دليل، ويظل يصف نفسه بأنه تلميذ الابتداء، وأن أثقال العزم آجلة، يذهل بذلك عن قانون سرعة الإيمان، وعن أن الأمر جد، وعن أن الأمانة قد وضعتها الأقدار على كاهله من يوم برأ الله نسمته واختاره أن يكون داعية.

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لم يكن بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:16] إلا أربع سنوات.

فهى أربع سنوات فقط مرحلة الابتداء والدلال والغنج والرُّخص والتمريض والتسويف والمشى الوئيد، ثم بعدها يهز شيخ الدعاة كتفه أن: انتفض، وصر مُعلما بعد أن كنت تلميذا، وليخشع قلبك.

ولما أحاط المشركون بعاصم بن ثابت وخُبيب وأصحابهما قال المشركون:

«لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا.

فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك. فقاتلهم حتى قتلوا عاصمًا فى سبعة نَفَر بالنبل. وبقى خُبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم».

---

(1) فتح البارى 12/ 84.

(2) تفسير الرازى 2/ 170.

obeikandi.com

قال ابن حجر:

«وفى الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفةً من أنه يجرى عليه حكم كافر. وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن.

قال الحسن البصرى: لا بأس بذلك.

وقال سفيان الثورى: أكره ذلك» [1].

قال القرطبى:

«رُوى عن بعض الصحابة أنه قال: إن الرجل إذا رأى منكرًا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات: اللهم إن هذا منكر، فإذا قال ذلك فقد فعل ما عليه.

وزعم ابن العربى أن مَن رجا زواله وخاف على نفسه من تغييره الضربَ أو القتلَ: جاز له عند أكثر العلماء الاقتحام عند هذا الغَرَر، وإن لم يرجُ زواله فأى فائدة عنده؟ قال: والذى عندى أن النية إذا خلصت فليقتحم كيف ما كان ولا يبالى» [2].

* الصفة الثامنة: الاستجمام بعد الإرهاق.

فإن هذه الحساسية التى تدع الداعية يستشعر مسئوليته الشخصية فى الإصلاح، ثم مضاعفة العمل، ثم اللبث مع العزائم: كل ذلك يولد تعبًا بلا شك، ومن اللائق أن يرفق بنفسه أحيانًا من أجل أن يعاود التشديد على نفسه، وهى وصية أهل الإبداع والأطباء من بعد الفقهاء.

وقد روى البخارى أن أبا طلحة رضي الله عنه «كان أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخلٍ» وأنه تصدق ببعض ذلك، وكان يحب بعض أمواله هذه.

قال ابن حجر:

«فيه جواز إضافة حب المال إلى الرجل الفاضل العالم، ولا نقص عليه فى ذلك، وقد أخبر

---

(1) فتح البارى 8/ 387.

(2) تفسيره 4/ 32.

obeikandi.com

تعالى عن الإنسان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات]، **والخير هنا**: المال اتفاقًا.

وفيه اتخاذ الحوائط والبساتين ودخول أهل الفضل والعلم فيها، والاستظلال بظلها، والأكل من ثمرها، والراحة والتنزه فيها وقد يكون ذلك مستحبًّا يترتب عليه الأجر إذا قصد به إجمام النفس من تعب العبادة وتنشيطها للطاعة»(1).

وأحبُ للقدوات أن يلبثوا يومًا فى غابة، أو يصعدوا جبلاً، أو يصحبوا الصيادين فى البحر، أو يطيروا بمنطاد، بل أن يفعلوا كل ذلك.

※ الصفة التاسعة: إطالة الصبر.

فإن ما هو أدل من الاستجمام: أن يصبر الداعية على الأذى، فإنها مهنته، ومهنة أساتذته فى الدعوة، ثم مهنة العلماء القدوات، صعودًا إلى الأنبياء عليهم السلام.

بل المبالغة فى الصبر، والإمعان فى قسر النفس.

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى ... وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى

سأصبر حتى يعلم الصبر أننى ... صبرتُ على شئ أمَرّ من الصبر

وإنما الصبر هو الصبر عند المصائب.

لقول النبى ﷺ فى صحيح البخارى: «من يُرد الله به خيرًا يُصِب منه؟» أى: يبتليه بالمصايب.

ولقوله ﷺ، كما عند البخارى أيضًا: «ما يُصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَبٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها: إلا كفَّر الله بها من خطاياه».

قال ابن حجر:

«وفى هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمى لا ينفك غالبًا من ألم، بسبب مرض أو هَمٍّ أو نحو ذلك مما ذكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام ــ بدنية كانت أو قلبية ــ تكفّر ذنوب من تقع له».

(وظاهره تعميم جميع الذنوب، لكن الجمهور خصوا ذلك بالصغائر) بسبب حديث

(1) فتح البارى 6/ 326.

«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان: كفّارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر» ، (فحملوا المطلقات الواردة فى التكفير على هذا المقيَّد. ويحتمل أن يكون معنى الأحاديث التى ظاهرها التعميم أن المذكورات صالحة لتكفير الذنوب، فيكفر الله بها ما شاء من الذنوب، ويكون كثرة التكفير وقلته باعتبار شدة المرض وخفته).

وهل يلزم الصبر ليكون الأجر والتكفير؟

اختلف الصحابة ومن بعدهم اختلافًا طويلاً، وخرج ابن حجر من الخلاف برأى صواب مقبول **فقال:** «الذى يظهر أن المصيبة إذا قارنها الصبر: حصل التكفير ورفع الدرجات، على ما تقدم تفصيله، وإن لم يحصل الصبر: نُظر؛ إن لم يحصل من الجزع ما يُذم، من قول أو فعل، فالفصل واسع، لكن المنزلة منحطة عن منزلة الصابر السابق، وإن حصل: فيكون ذلك سببًا لنقص الأجر الموعود به أو التكفير، فقد يستويان، وقد يزيد أحدهما على الآخر، فبقدر ذلك يُقضى لأحدهما على الآخر» (1).

وقيل لرسول الله ﷺ : «أيُّ الناس أشد بلاءً؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه».

قال ابن حجر: أخرجه الدارمى والنسائى فى الكبرى، وابن ماجه، وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم.

قال: الأمثل: أفعل، من المثالة، والجمع: أماثل، وهم الفضلاء.

وفى لفظ: «ثم من؟ قال: العلماء. قال: ثم من؟ قال: الصالحون» (2).

قال ابن حجر:

(وكان فى قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة.

منها: أن عادة الرسل أن تبتلى، وتكون لها العاقبة، كما تقدم فى قصة هرقل مع أبى سفيان، والحكمة فى ذلك أنهم لو انتصروا دائمًا: دخل فى المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق

---

(1) فتح البارى 12/ 212، 214.
(2) فتح البارى 12/ 215.

من غيره، ولو انكسروا دائمًا لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيًّا عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول: عاد التلويح تصريحًا، وعرف المسلمون أنّ لهم عدوًّا فى دُورهم، فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم)[1].

وفى تعقيباته على قصة الغلام الشهيرة التى تذكر فى تفسير حادثة الأخدود الواردة فى سورة البروج **يقول القرطبى:**

«قال علماؤنا: أعلم الله ﷻ المؤمنين من هذه الأمة فى هذه الآية ما كان يلقاه من وحّد قبلهم من الشدائد، يؤنسهم بذلك، وذكر النبى ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقونه من الأذى والآلام، والمشقات التى كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام؛ فى صبره وتصلبه فى الحق وتمسكه به وبذل نفسه فى حق إظهار دعوته، ودخول الناس فى الدين مع صغر سنه وعظم صبره، وكذلك الراهب: صبر على التمسك بالحق حتى نُشر بالمنشار، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان فى قلوبهم: صبروا على الطرح فى النار ولم يرجعوا فى دينهم».

ثم واصل القرطبى القول، نافيًا دعوى نسخ حكم الصبر التى قال بها ابن العربي وغيره، **فقال:**

«ليس بمنسوخ عندنا، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى، قال الله تعالى مخبرًا عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان]، وروى أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر».

ثم **قال:** (قال علماؤنا: ولقد امتحن كثير من أصحاب النبى ﷺ بالقتل والصلب والتعذيب الشديد، فصبروا، ولم يلتفتوا إلى شىء من ذلك، ويكفيك قصة عاصم وخُبيب وأصحابهم وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق وغير ذلك. ثم أشار إلى: أن

(1) الفتح 8/ 350.

obeikandl.com

هذا إجماع ممن قوى فى ذلك)[1].

*** الركن العاشر: توطين النفس على البقاء تلميذًا مهما اقتدى به المقتدون.**

ولذلك قال عمر رضي الله عنه يريد الاستدراك المعجَّل:

«تفقهوا قبل أن تسوّدوا».

قال ابن حجر:

(لأن الرئيس قد يمنعه الكبر والاحتشام أن يجلس مجلس المتعلمين، ولهذا قال مالك: من عيب القضاء: أن القاضى إذا عُزل لا يرجع إلى مجلسه الذى كان يتعلم فيه)[2].

وقياسًا: هذا هو عيب الرياسة الدعوية أيضًا، فى جميع درجاتها، أو الظهور السياسى والانتخابى فى البرلمانات والنقابات، أو الظهور الإعلامى، فى الصحف والقنوات الفضائية، فإنها كلها تدع من يشتهر يأنف استمرار جلوسه بين يدى أساتذة الفقه ربما، ويظن فى نفسه الكمال والاستغناء، فينقطع، فيستهلك ما جمعه فى أوائل دربه يوم كان يتواضع ويحمل كتابه تحت إبطه يهرول بين مجالس العلم، فإذا نفد ما معه: لم يعد صاحب عطاء، فيضمر صوابه، فيزحزحه متمردون عن منصبه، يريدون التطوير والتجديد ومواكبة الزمن، فيلفه يأس وبأس، فينتهى، وعندئذ يدرك أن لو كان استقام على الطريقة التربوية لسقاه الله من بركات التلمذة علمًا غدقًا، ولكن هيهات، فإن النفس إذا تعودت الشموخ بطرت.

تيّار العمل يستدرك على إبطاء المتهيبين

ومثلما يفيد هذا الاستعراض الأخلاقى القدوات، وتكون لهم فيه موعظة تحثهم على طلب معالى الأمور: فإن آخرين من الدعاة تأسرهم رهبة، فيرى أحدهم نفسه إذا كلِّف بعمل دعوى أنه غير أهل له، وأنه أقل من أن يرضى بالانتصاب كقدوة، ويتهم نفسه بالضعف، وتسيطر عليه روح انسحابية تجعله يخاف من اتخاذ قرار، فى حين أن الجماعة تظن فيه المقدرة رغم شعوره بالحرج، فهل للجماعة وجه فى اجتهادها؟ وكيف نعالج هذه الحالة من التردد؟

---

(1) تفسيره 19/ 280.
(2) الفتح 1/ 175.

obeikandl.com

المظنون: أن اجتهاد الجماعة سائغ فى مثل هذا إن شاء الله، ولها تأولات صحيحة عديدة تنطق بها التجارب، منها:

* أنه مثلما يَوْجل لأول وهلة فإن شعوره بالتكليف فيما بعد سيكون عامل تربية له، ويمده بتقوى وبمعاناة ترفع من مستوى اهتمامه وانفعاله بقضية الدعوة الجزئية التى كُلف بها، بينما الفراغ إذا استطرد فيه مَن لا تكليف عليه يولد الوساوس، ربما. والموازين الإيمانية تعظ الداعية فى هذا الموطن بأن الشيطان هو الذى يخيفه ليصده عن باب من أبواب الثواب، وأن عليه أن يتوكل على الله تعالى ويراغم الشيطان.

* وأن وضع الداعية وجهًا لوجه مع مشاكل العمل وقضاياه يحفز فيه عوامل التحدى ومحاولات التغلب على المصاعب، فتنمو تجربته العملية عبر الممارسة حتى يستوى متقنًا للعمل، بينما التعفف عن العمل المسنود إليه يدعه فى حالة استرخاء وبطالة مكتفيًا بأدنى تشغيل لحواسه، فلا يتقدم به الحال، وإنما يكون قانعًا بسير الهوينى، ومثل هذا القانع لا يتطور.

* أن هذا الداعية المستضعِف لنفسه سوف لا تتركه الجماعة لقدَره وطاقاته فقط، بل ستحرص على رفع مستواه بالدورات والرقابة الإدارية، وتقترح عليه مع الأيام أنواعًا من الأساليب الإبداعية والتطويرية التى يتقن بها أداء مهمته التى كُلّف بها.

* أنه سينفذ مهمته ليس لوحده، بل مع أقران مماثلين يتكون منهم فريق عمل، ومن ظواهر علم الإدارة: ارتفاع مستوى إتقان بعض الأعمال إذا أديت عبر فريق عمل متكامل أو متماثل، وقد يكون وجود هذا الداعية ضمن الفريق ضروريًا لتحقيق معنى التكامل، لذلك يجب عليه أن يحث نفسه ويرغمها، لما فى ذلك من تشغيل غيره بوجوده، وقد قدمنا أن من أبعاد الاقتداء: البُعد القصدى، والتكلف له؛ لئلا ينثلم أداء المجموعة، ثم الله أعرف بالنيات وبالتأول الحسن الذى يكمن خلف قسره لنفسه مع استيلاء الكراهة عليه، بل مثل هذا مأجور مرتين إن شاء الله؛ لأنه يخالف هواه.

* والعكس صحيح أيضًا، فإن من يتوهم الضَعف إنما يظن أنه ضعيف قياسًا على حالة التنفيذ المنفرد، لكن وجوده ضمن فريق العمل سيرفع همته بالعدوى التى تسرى إليه من

الآخرين، وسيحمله تيار الأداء الجماعى ولا يكون منفردا.

* ثم إن هذا التردد والتخوف إنما هو من ظواهر الفطرة الإنسانية فى الخوف من المجهول، لكن بالمواجهة الفعلية سيقتحم، وعما قريب سينسى أنه تردد، وكل من يوشك أن يدخل معركة حربية يطرأ عليه مثل هذا الهاجس مهما كان شجاعًا، وكل من ينوى الزواج يعتريه قلق مماثل، ثم يأنس لزوجه من غدٍ ويرفل فى المودة والرحمة التى يهبها الله لهما.

* وقد يكون فيه ضعف حقًّا، لكن ليس هناك أفضل منه، فهو أسير قاعدة استعمال الأمثل فالأمثل والترجيح بين المصالح والمفاسد وسد الذرائع.

* أن الاجتماعات الإدارية فيها حصة من الوقت كبيرة للتداول الفكرى وبيان قواعد فقه الدعوة والمفاد التجريبى، وغالبًا ما تشهد الاجتماعات حوارًا جيدًا بين المجتمعين يعتبر مهمًّا لتطوير آفاق ومفاهيم المتحاورين، فهو منصور بإذن الله بهذا الحوار المسترسل العفوى.

* وربما يكون مصدر خوفه ما يعلمه من اعتياد بعض الدعاة الهجوم اللاذع على أقرانهم إذا أخطئوا، وهذا مرض لا ننكر وجوده، ولكن الفقه الدعوى يمنح القيادى حق الخطأ، والمجال الحر الاستقلالى الذى يسوغ فيه الابتكار، وهذا هو المهم الذى ينبغى أن يلتفت له، وأما مناوشات الأقران فشرٌّ لابد منه ينبغى أن يصبر عليه ما دامت النفس الإنسانية هى النفس لا تتبدل، ولربما يناله عند تعففه عن العمل وجلوسه عاطلاً نقد أعنف من نقد الخطأ الذى يقع فيه، فالتعاتب والهجوم واللمز سلبيات لا يمكن محوها فى الحياة البشرية، ولعل الله يقذف فى قلوب العباد حب الحامل لنفسه على فعل الخير إذا علم منه حسن النية، فلا يؤذيه مشاغب، بينما يتخلى الله –ربما– عن القاعد المتعفف.

* ثم إن العمل المؤسسى إذا صار عُرفًا فى الجماعة فإنه سيرفع عن كل الدعاة المكلفين بالعمل كثيرًا من الأعباء فى الحقيقة، فالرأى شورى ومنسوب إلى قرار جماعى لا إلى أحدهم فقط، والخطط الموضوعة المتوارثة أصولها ترفع عنه أثقال التفكير، والوسائل التنفيذية توضع تحت استخدامه، من كتب وأشرطة ومجلات دعوية، وهى آلات تعبئة ليس هو الصانع لها، ثم المال، والسمعة العامة للجماعة واسمها وتاريخها ومناقب أهلها كل ذلك يعينه ويصنع له ظلًّا من الجاه والهيبة يتحرك تحته، وما هو بنكرة يُجابه صعوبات العمل لوحده.

فبهذه التأويلات العشرة لا يبقى عذر لمتخلف يزدرى نفسه.

* لذلك أولى للمتردد أن يقبل التكليف، ثم:

* يديم الدعاء أن يذلل الله تعالى له المصاعب، وأن يعلمه ويفقهه ويبصّره الصواب.

* ويطيل الاستغفار ويعتذر لله سبحانه بأن فتوى الضرورة تجعله يقبل، وأن جهل الجماعة بحقيقة أمره غَلبه وأرغمه.

* ويصارع القدر بالقدر، بأن يرفع من مستواه ما استطاع، بالمطالعة وسؤال أهل العلم والتجربة وأن يتخذ من أسباب التطوير ما يُتاح.

* وانتبه العلامة أبو عبد الله محمد بن عيسى بن أصبغ الأزدى القرطبى المالكى، الشهير بابن المُناصِف، المتوفى سنة 260 هـ رحمه الله ، إلى سلوك غريب من مثل هؤلاء المستضعفين لأنفسهم ربما يوسوس الشيطان لهم به، بأن يحملهم على إهمال الحرص على العمل الأصلح ومجاراة أهل الهمم الواطئة فيما هم فيه، يأسًا من الأصلح، وكأنهم ينتقمون من إكراههم على عمل لا يرغبون به.

ويورد ابن المُناصِف الكلام بمناسبة نصيحته لمن يتولى منصب القضاء، فيقول:

«ولا ينبغى له بعد الحصول فى هذا المنصب ــ سواءٌ وصل إليه برغبة فيه وطرَحَ نفسه عليه، أو امتحن به وعُرِض عليه ــ: أن يزهد فى طلب الحظ الأخلص، والسَنَن الأصلح، فربما حَمَله على ذلك استحقارُ نفسه، لكونه ممن لا يستحق هذا المنصب، أو زهدُهُ فى أهل عصره ويأسه من استصلاحهم، واستبعاد ما يرجو من علاج أمرهم وأمره أيضًا، لما يراه من عموم الفساد وقلة الالتفات إلى الخير، فإنه إن لم يَسْعَ فى استصلاح أهل عصره فقد أسلم نفسَه وألقى بيده إلى التهلكة، ويئس من تدارك الله تعالى عبادَه بالرحمة، فيلجئه ذلك إلى أن يمشى على ما يمشى عليه أهل زمانه، ولا يبالى بأى شىء وقع فيه، لاعتقاده فساد الحال.

وهذا أشد من مصيبة القضاء وأدهى من كل ما يتوقع من البلاء، فليأخذ نفسه بالمجاهدة ويسعى فى اكتساب الخير ويطلبه، ويستصلح الناس بالرهبة والرغبة، ويشدّد عليهم فى الحق،

فإن الله تعالى بفضله يجعل له فى ولايته وجميع أموره فرجًا ومخرجًا»[1].

ونقيس قضية الداعية الممتنع الذى يرفض المنصب الدعوى على مثل هذا القاضى المتحَن بالقضاء المكرَه عليه، الذى ينقله اليأس من الإصلاح إلى مجاراة أهواء الناس -والعياذ بالله- لا إلى حملهم على الحق.

وهذه الالتفاتة من هذا النبيل الأندلسى هى جُزء مهم من مكونات علم النفس الإسلامى، ثم علم النفس الدعوى باقتباسنا لها، وكنت وما أزال أقول بأن علم النفس الإسلامى عامر غزير الملاحظات، لكنها متناثرة فى الكتب وتريد من يبعثها ويحييها، وترجمة هذه الملاحظة فى الحال الدعوى أن المكلف الكاره لا يأخذ القضية مأخذ الجاد الحريص على التطوير بحيث يتفنن ويبدع، وإنما بمقدار تحلة القسم، ويتحرى أضعف رجال المجموعة المماثلة له ليتخذه قدوة لا أقواهم، فيتخذ من تسيب غيره شاهدًا يشهد له، وهذا حال متشائم لا يوقن بأن المستقبل لهذا الدين، ولذلك يصح للجماعة أيضًا أن تتردد فى تكليفه إن رأت التمنُّع، رغم وجاهة التأويلات العشرة التى نظن أنها تستدرك عليه وتحركه، وتبقى المسألة بذلك نسبية محضة، الفاصل فيها هو الحال النفسى المعنوى الذى يستولى على الداعية، أهو إلى الانفتاح والثقة أقرب أم إلى الانغلاق واليأس والتبرم؟ والفراسة فى ذلك مُحكّمة.

* * *

(1) عن الشيخ عبد الفتاح أبى غدة فى حاشية له على كتاب: الإحكام فى تمييز الفتاوى عن الأحكام للقرافى/ 271، وقد نقله عن تبصرة الحكام لابن فرحون.